Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أبا الهول ماذا وراء البقا ء إذا ما تطاول غير الضجر
عجبتُ للقمان فى حرصه على لُبد والنسور الأخر
وشكوى لبيد لطول الحيا ة ولو لم تطل لتشكى القصر
ولو وجدت فيك يا ابن الصفا ة لحقت بصانعك المقتدر

يذهب به الشاعر إلى كل معمر ومعه علامات الاستفهام الكبرى التى لا يهدأ معها ولا يستقر .

وما عسى أن تكون هذه الأسئلة إلا الثرثرة العاقلة التى ابتلى بها الإنسان ، يرددها فى سره وعلانيته ، كما يردد سانشو بانسه أسئلته على صاحبه دون كيشوت ، لا ليكشف بها عن حقيقة ، ولكن ليحركه إلى الضجر .

غير أن المساءلة التى يلوح وراءها الجواب ويختفى هى عنوان الكتاب الذى يطالع فيه العقل مأساة الإنسان ، فلا يتم تمام هذه المأساة إلا بالمعرفة يضمها إلى ظنونه وتأملاته وهواجسه ، ولا تزال تنبوبه من لماذا إلى ماذا ، ومن متى إلى كيف .

والأبيات التى سقناها فى أول الكلام إنما قالها الشاعر لأبى الهول ، وكأنه يقرّعه ، وديك الصباح يقع موقع النذير الذى يوقظ الإنسان ويفتح عينيه على الحقيقة ، ولا نعرف أحداً من الشعراء بلغ بصيحة الديك مبلغ المأساة إلا أبا العلاء .

أياديك عدت من أياديك صيحةٍ بعثت بها ميت الكرى وهو نائم

والأصل فى هذا المعنى وما يشبهه ما ورد فى بعض الآثار من النهى عن سب الديكة لأنها تدعو للصلاة .